

وقصة اهتداء إبراهيم إلى الحق - فيما تلاها علينا كتاب الإسلام - بدأت بالحيرة ، والشك الذي هو مظهر لرشد العقل وحرية التفكير . ومن الشك طال تأمله في الكون وإصراره على طلب الهدى والتماس اليقين : « واتل عليهم نبأ إبراهيم . إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون . قالوا نعبد أصناماً فننظر لها عاكفين . قال هل يسمعونكم إذ تدعون . أو ينفعونكم أو يضرون . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال أفأرأيتم ما كنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقدمون ، فإنهم عدواً لي إلا رب العالمين . الذي خلقني فهو يهدين ... »

(الشعراء ٦٩ : ٧٨)

«... فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي ، فلما أفل قال لئن لم يهدين ربي لأكوننّ من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر . فلما أفلت قال يا قوم إنني بريء مما تشركون . إنني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين . »

(الأنعام ٧٦ : ٧٩)

وهذا هو بعد أن اهتدى إلى خالقه الحق ، المحيي المميت ، لم يزل يجد في نفسه هاجساً من قلق ، فالتمس راحة اليقين وطمأنينة القلب . دون أن يكون في ذلك ما يلقي أدنى ظلّ من شبهة ، على صدق إيمانه وعقيدته .

ودون أن يكون فيه ما يقتضي حرمانه من شرف اصطفاؤه للنبوّة !
